وقفة مع النابغة الذبياني

في معجمه اللغوي

د. سهام الفريح
كلية الآداب
جامعة الكويت

ديباجة : خطوط مفاهيمية عامة :

هو أبو أمامة زياد بن معاوية ، وينتهي نسبه إلى سعد بن ذبيان بن بغيض ، وهو أحد شعراء الجاهلية ، وأحد فحولهم ، عده ابن سلام الجمحي في الطبقة الأولى بعد امرؤ القيس ، وسمي النابغة لقوله :

" فقد نبغتْ لنا منهم شئون "

وقيل لأنه لم يقل الشعر حتى صار رجلاً ، وقال ابن قتيبة : (ونبغ بعد أن احتنك ، وهلك قبل أن يُهتر ، وهو أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً ، كان شعره كلام ليس فيه تكلف ، ومات النابغة في الجاهلية في زمن النبي (ﷺ) قبل أن يبعث . [١]

مكانته الأدبية :

للنابغة مكانة متميزة بين شعراء الجاهلية ، لما له من شعر يختلف في كثير من موضوعاته عن معاصريه ، فلكل باب طرقه ، ونظم فيه رونقه وخصوصيته ، فله في الطبيعة ، وفي الحيوان ، وشعر الاعتذار وخاصة في النعمان لم يقل أحد مثله . [٢]

نُبِّئتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدني　　ولا قرارَ على زأرٍ من الأسدِ
مهْلاً فِداءٌ لك الأقوامُ كلُّهمُ　　وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولد
إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغْتَ معتمداً　　إذا فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ يدي
هذا الثناءُ فإنْ تَسْمَعْ به حسناً　　فلم أُعَرِّضْ أبيتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني [٣] . وقد أشاد القدماء باعتذاراته ، وذلك لما يتميز به من مقومات حددها لنفسه خلال قصائده الاعتذارية فهو يوائم بين ما يبثه في شعره من مدح للمعتذر منه ، وبين تصوير لذاته وتحليله لنفسيته وهو يدفع عن نفسه ما لحق بها من ذنب في قوله :

وَعيدُ أبي قابوس في غير كُنْهِهِ　　أتاني ودونـي راكسٌ فالضواجعُ
فَبِتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ　　من الرُّقشِ في أنيابها السمُّ ناقعُ
يُسهدُ من ليلٍ التمام سَليمُها　　لَحَلْيِ النساء في يديهِ قَعَاقعُ
تناذَرَها الرّاقونَ من سُوءِ سمِّها　　تُطلِّقُهُ طوراً وطوراً تُراجع

وقد أعجب النقاد ، قدامى ومحدثون بتلك الصورة الخالدة التي صور بها خوفه في قوله مخاطباً النعمان :

فإنك كالليل الذي هو مدركي　　وإن خلت أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ

فكيف لا يطول ليله وهو كمن لدغته أفعى بأنيابها السم ناقع ، وليس هذا فحسب، وإنما طوق بالحلي ليبقى متيقظاً – على عاداتهم – كلما تحرك أوقظه صوت الخلاخل حتى لا يتمكن السم في جسده .

وتتنوع الصور في اعتذاراته فيأتي بها خلال مشاهد عديدة منها وصف الحيوان مقترناً بوصف الطبيعة بمشاهدها المتنوعة .

كأنما الرحلُ – منها – فوق ذي جُددٍ　　ذبٌ الزِّياد ، إلى الأشباح نظّارِ

مُطـــرّدٍ ، أفـــردت عـــنه حلائلـــه من وحـش وَجـرْة ، أو من وحش ذي قار
مُجـرّسٍ ، وَحِـدٍ ، جـأب ، أطـاع له نـباتُ غيـث — مـن الوَسْـميّ — مـبكار
سـراته ، مـا خـلا لـبّاتُه — لهـق وفي القوائـم ، مـثل الوشـم بالقـار
باتـت له لـيلة شـهباء تسـعفه بحاصـب ، ذاتُ إشْـعَانٍ وأمطـار
وبـات ضـيفاً لأرطـاة ، وألجـأه — مـع الظـلام — إلـيها وابـلٌ سـاري
حـتى إذا مـا انجلـت ظـلماء ليلـته وأسـفر الصـبح عـنه ، أي إسـفار
أهـوى له قـانص يسـعى بأكلـبه عـاري الأشـاجع ، مـن قـناص أنمـار

وقد فضله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشعراء غير مرة ، خرج وببابه وفد غطفان ، فقال : أي شعرائكم الذي يقول : [٤]

حلفـتُ فـلم أتـرك لنفسـك ريـبةً ولـيس وراء الله لـلمرء مذهـب
لـئن كنـت قـد بلغـت عـني خـيانة لـمبلغك الواشـي أغـش وأكـذب
ولسـت بمسـتبقٍ أخـا لا تـلمه عـلى شـعثٍ أيّ الـرجال المهـذب

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأيكم الذي يقول :

فـإنك كالـيل الـذي هـو مدركـي وإن خلـت أنّ المنـتأى عـنكَ واسـعُ
خطاطـيفُ حُجْـنٌ في حـبالٍ متيـنةٍ تَمُـدّ بهـا أيـدٍ إلـيك نـوازع

قالوا : النابغة . قال : فأيكم الذي يقول :

إلى ابـن مُحـرّقٍ أعملـتُ نفسـي وراحلـتي وقـد هـدّتِ العـيونُ
أتيـتك عاريـاً خلقـاً ثـيابي عـلى خـوفٍ تُظَـنّ بـي الظـنونُ
فألفيـتُ الأمانـة لم تَخُـنْها كذلـك كـان نـوحٌ لا يخـون

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم .

ونجد ما استشهد به الخليفة الفاروق رضي الله عنه من شعر النابغة هو في الاعتذار أيضاً . ويتقدم المحدثين في إعجابهم باعتذاراته شوقي ضيف في قوله : (وإذا كان النابغة يتفوق في المديح تفوقاً ظاهراً ، فإنه كذلك يتفوق في الاعتذار ، وكأن ذوقه الحضري هو الذي أعده لهذا التفوق) . (٥)

ويأتي إعجاب آخر من المحدثين باعتذاراته الذي يجده (ينحو منحى جديداً، يعاتب صاحبه عتاباً فيه الألم الحزين ، وفيه النفس الأبية ، وفيه الاعتذار المطمئن الواثق من نفسه فيه عتاب من أخلص الود ، وكان جزاؤه أن ترقبه العيون ، وتدس عليه في كل مكان ، وذلك لما تقول عليه الأعداء . (٦)

رأيتُك ترعاني بعينٍ بصيرةٍ ... وتبعث حراساً عليّ وناظرا

فآليتُ لا آتيك إن كنتُ مجرماً ... ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا

وأهلي فداءٌ لأمرئ إن أتيته ... تقبل معروفي وسدَّ المفاقرا

ألا أبلغِ النعمان حيث لقيته ... وأهدى له الله الغيوث البواكرا

ولا نرد الاسترسال في رصد آراء المحدثين وإعجابهم باعتذاراته ، وإنما نختمها بما جاء في قول (وهب رومية) الذي أفرد باباً كاملاً للحديث عن فن الاعتذار كان النصيب الأكبر فيه عن النابغة (وأن النابغة — شاعر الاعتذاريات الكبير — هو الذي نهض بها هذه النهضة الرائعة فوهبها كل طاقته الفنية .. فاكتملت حسناً وبهاءً) . (٧)

ولا يمكننا الحديث عن فن الاعتذار بمعزل عن فن المدح ، فلابد للمعتذر من وصف شخصية المعتذر منه ، وإطرائها بما لديه من قدرة وإبداع في هذا الفن ، والنابغة يبرز في هذا الجانب بما لا يقبل الشك . وشاهدنا القطع الفنية الرائعة من ديوان شعره في مدح الغساسنة والمناذرة ، وكان لاتصاله بملوكها وما هم عليه من حضارة وتمدن أكسبه خصائص هاتين الملكتين جلياً واضحاً في شعره .

وقد جاء المدح عنده متصلاً بالحرب ، وفي تصوير الجيوش الذي أبدع في التصوير والصف لكل ما يتصل بالمعارك حتى هيأ فيما بعد لبعض الشعراء الإسلاميين التوسع في هذا الجانب حتى أوصلوه إلى أداء طابع ملحمي كأبي تمام في فتح عمورية ، والمتنبي في سيفياته ، ومسلم بن الوليد في قصيدته الحربية في يزيد بن مزيد الشيباني : [٨]

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
يُصاحبنهم حتى يُغرنَ مغارهم منَ الضاريات بالدماء الدوارب
تراهُن خلف القوم خُزراً عيونُها جُلوسَ الشيوخ في ثياب المرانب
جوانح قد أيقنّ أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهنّ عليهم عادةٌ قد عرفنها إذا عُرِّضَ الخطيّ فوق الكواثب
على عارفاتٍ للطعان عوابس بهنّ كُلومٌ بين دامٍ وجالبِ
إذا استُنزلوا عنهنّ للطعنِ أرقلوا إل الموتِ إرقال الجمال المصاعب

ونحن نستعرض شعر المدح والاعتذار عند النابغة ولا نغفل ما ذكره القدامى والمحدثون أيضاً بأنه شاعر متكسب ، وأولهم ابن رشيق حيث قال : (حتى نشأ النابغة الذبياني مدح الملوك ، وقبل الصلة على الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته ، أو من سار إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالاً كثيراً حتى كان أكله وشربه صحاف الذهب والفضة ، وأوانيه من عطاء الملوك) . [٩]

ومن المحدثين الذين مالوا إلى هذا الرأي ، سيد نوفل في قوله :(وقد أسرف في المديح إسرافاً أنكره القدماء، ويظهر أنه انسلخ من الخلق العربي انسلاخاً ، فاستبعدته المادة بل الترف، وباع الحرية ، وهي أعظم ما يعتز به العربي، حتى كان غضب الملوك شديداً على نفسه يثير انفعالاته، ومن هنا قيل: أنه أشعر الناس إذا غضب)[١٠] . ونجد العبارة بنصها عند سعد شلبي (يأتي الوصف في شعر النابغة حائلاً

ممسوخاً ، وكأنه انسلخ من الخلق العربي انسلاخاً ، فاستعبدته المادة بل الترف وسخر شعره للمدح ، وما يتصل به) . (١١)

عند التمعن والنظر في شعر النابغة ، وفي سيرة حياته ، يتبين لنا أن النابغة لم يسع بشعره للقبائل وملوك العرب كالمناذرة والغساسنة بهدف التكسب ، والوصول بشعره إلى مكاسبه الخاصة ، وإنما استغل هذا الشعر التكسبي كما سماه النقاد القدامى وتبعهم بعض المحدثين لخلق بعض التوازنات في موقف قبيلته أمام القوتين العربيتين الدائمتي النزاع فيما بينهما بهدف فرض سطوتهما على باقي القبائل الموجودة في تلك البقاع ، ومنها قبيلة الشاعر .

وما أشرنا إليه وجدنا ما يؤكده في بعض الدراسات الدقيقة حول شعر النابغة وحياته ، والتي تبرز الموقف الحقيقي للشاعر في المدح فهو لا ينحط بشعره للتكسب ، ولا يهدر كرامته ، وإنما هو (يعطي نفسه حق الزعامة والتوجيه حين يقول في وصفه حصناً وأسداً بضعف العقل وطيش الشباب وقلة الحكمة في تصرفهم مع غسان :

ضلّت حلومهم عنهم وغرهم سَنُّ المُعيدي في رعي وتغريب

هذه هي القصيدة الأولى من قصائد النابغة في غسان نلاحظ فيها إيمان النابغة بالغساسنة وبقدرتهم الحربية ، واعتقاده أنهم قوة لا يستهان بها ، بل يجب — على النقيض — أن يحسب لها حسابها ، وأن يحاول أن يضمها إلى جانبه وأن يكسب مودتها حتى يستطيع أن يكون بمأمن من خصومتها .. وهو يعلم أنه لو استطاع أن يحتفظ لنفسه ولقبيلته بصداقة هؤلاء فسيبقى عزيز الجانب مصاناً مهاباً . (١٢)

وفي دراسة أخرى حول قصيدة المدح عند شعراء الجاهلية نجد هذا القول : (إن طائفة من العوامل قد تظاهرت على الاتجاه بقصيدة المدح اتجاهاً جديداً ، فغيرت من مضمون رسالتها ، وانحرفت بها نحو التكسب والمنفعة الخاصة .. إن بريق المال — تلألئه وجماله — لم يخطف أبصار الشعراء جميعاً ، فظل فريق منهم يرفع راية القبيلة مزوّراً عن هذا السبيل — سبيل التكسب — وظلت قصيدة المدح تنهض بالتعبير عن الجماعة في همومها ومخاوفها وأحلامها .. إن قصيدة المدح الجديدة لم تتجه إلى المدح

وحده بل اتجهت إلى القبيلة — أي الجماعة — أيضاً فإذا كنا نعد الأعشى ممثلاً للاتجاه الأول ، فإننا نعد النابغة وزهيراً ممثلين للاتجاه الثاني . (١٣)

فعلينا أن نقرن هذه الآراء بشواهد من شعره منها قصائده في النعمان ينبه قومه فيها إلى قوة الغساسنة الحربية ، وأنها قوة لا يستهان بها في قصيدته . (١٤)

إني كأني لدي النعمان خيِّرهُ بعض الأود حديثاً غير مكذوب

بان حصناً وحياً من بني أسد قاموا فقالوا : حمانا غير مقروب

فهو يشير إلى غرور الغزاريين وجهلهم بهذه القوة ، وكذلك في قصيدته التي يقول فيها : (١٥)

لقد نهيت بني ذبيان عن أقرٍ وعن تربعهم في كل أصفار

فهدفها كالقصيدة السابقة وهو أن ينبه قومه لوادي (أقر) وكان النعمان بن الحارث قد حماه فتربعه بنو ذبيان ، وقد حدث ما توقعه النابغة بعد أن عيروه خوف النعمان حتى نالهم بطش الغساسنة . وهذه المواقف نستدل بها على أن شخصية النابغة لم تقف عند حدود الشاعر المتكسب الذي يسعى بمدائحه العطايا والهبات ، وإنما كان في عصره ، وبين قومه الرجل السياسي المحنك ، الذي يزن الأمور ويضعها في المواضع التي تخدم قبيلته وهدفه مصلحة القبيلة ، وهو عنده فوق كل اعتبار ، ولأنه خالط الملوك وارتحل كثيراً بين الممالك ، فكان يرى أبعد مما يراه قومه ، كما أن النابغة لم يكن في مدحه منكسراً أو ضعيفاً كما جاء في رأي بعض النقاد: (حتى انسلخ من الخلق العربي وحتى كان غضب الملوك شديداً عليه) وإنما كان ذا مكانة لم يهدرها في مديحه، فهو لا يمدح من الناس إلا المستحقين لمدحه ، فهو واثق بنفسه حيث يعتقد أن مدحه ذو قيمة للمدوح ، وأن الناس يحسدون من يمدحهم ، ويتمنونه لأنفسهم ، لأن مديحه يزيد المدوح فخراً وذلك في مثل قوله : (١٦)

وكنتُ امرأً لا أمدح الدهر سوقة فلست على خير أتاك الحاسد

سبقت الرجال الباهتين إلى العلا كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد

علوت معدّاً نائلاً ونكايةً فأنت لغيث الحمد أول رائد

ومما نستدل به على علو مكانته في عصره خبر ابنته مع النعمان ، وائل قائد الحارث الغساني عندما أغار على بني ذبيان وأخذ منهم سبايا من بينهن عقرب ابنة النابغة ، فسألها : من أنتِ ؟ فقالت : أنا ابنة النابغة . فقال لها : والله ما أحد أكرم علينا من أبيك ، فأطلق سراحها ، ثم جهزها فخلاها ، ثم قال : والله ما أرى النابغة يرضى بهذا منا ، فأطلق له سبي غطفان وأسراهم .

وكذلك ما ذكر عن النابغة بأنه شفع في أُسارى بني أسد ، فأطلقهم وكانوا نيفاً وثمانين ، ثم سأله علقمة أن يطلق أُسارى بني تميم ففعل ، ويقال أن شأساً ابن أخي علقمة ، من بين من أسرهم الحارث بن أبي شمر الغساني . (١٧)

ومما يستدعي التوقف عنده هو تلك العلاقة المتميزة بين النابغة والنعمان ، فهي لا تقف عند علاقة ملك بشاعر مداح ، وإنما هي علاقة حميمة قريبة الشبه بعلاقة المتنبي بسيف الدولة . وتدلنا عليها من قصائد عديدة له ، ولعل أبرز شاهد بينها هو قصيدة الرثاء اليتيمة التي لم ينظم غيرها في هذا الفن ، والتي تعبر عن تلك العلاقة ، وعن لوعته لفقده بالموت : (١٨)

دعاك الهوى ، واستجهلتك المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل

وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات الهواطل

أسائل عن سعدى وقد مر بعدنا على عرصات الدار سبعٌ كوامل

فسليت ما عندي بروحة عرمس تخب برحلي تارة وتناقل

يحث الحداة جالزاً بردائه يقي حاجبيه ما تثير القنابل

يقول رجالٌ ينكرون خليقتي لعل زياداً — لا أبالك — غافل

أبى غفلتي أني إذا ما ذكرته تحرك داءٌ في فؤادي داخل

وإن تـــلادي إن ذكـــرت وشـــكتي ومهـــري ومـــا ضـــمّت لـــديّ الأنـــامل
حـــباؤك ، والعـــيس العـــتاق كأنهـــا هجـــان المهـــا تحـــدى علـــيها الـــرحائل

أمـا عـن غضـب النعمان من النابغة ، وما ذكره الرواة والنقاد من أنه بسبب قصيدة المتجردة ، فإن البعض الآخر رفضوا هذا الاعتقاد واعتبروا أن غضب النعمان كان لأسباب سياسـية وهـي اتصال النابغة الغساسنة ومدحه لهم ، دفع الغضب النعمان إلى لوم النابغة لاتصـاله بـألد أعدائه . وقصائد الشاعر الاعتذارية للنعمان تفسر ما ذهبنا إليه ولعل أبرزها قصيدته التي يقول في مطلعها : (١٩)

أتـاني – أبيـت اللعـن – أنـك لـمتني وتلـــك الـــتي أهـــتم مـــنها وأنصـــب

ولم تكـن للـنعمان هـذه القصـيدة وحدهـا ، فـإن له غيرهـا سبع قصائد جميعها في الاعـتذار . وعـند الـتمعن في معانـيها نجـد أن الشـاعر يـرد عـلى لوم النعمان بأنه نتيجة الوشـاة والحسـاد الـذي يغـيظهم مـا ينعم به الشاعر في ظل هذا الملك ، وأن هذا اللوم هو الـذي يجهـد الـنابغة كمـا ذكـرت المصادر (حتى كان غضب الملوك شديداً عليه) وذلك بهـدف المحافظـة عـلى هـذه العلاقـة المتمـيزة بيـنه وبـين الملـك . والتي تصل إلى الندية والصـداقة الـتي حـاول الحفـاظ عـليها وفي الوقـت نفسـه يـريد الإبقاء على حسن العلاقة بالغساسـنة خدمـة لقبيلـته – كما ذكرنا سابقاً – والنعمان بن المنذر تغضبه علاقة الشاعر بالغساسـنة ، لـذا نجد النابغة يقدم القصيدة تلو القصيدة اعتذاراً للنعمان ، وبهذه الدراية بمسـايرة الملـوك وهـذه الحـنكة والحـلم ، اسـتطاع أن يـبقى عـلى وده واتصـاله بهـاتين الدولـتين المتعاديـتين ، وأيضاً بهذه العلاقة المزدوجة خدم قبيلته وحفظ حقوقها ، وحمى حماهـا مـن أذى الغساسـنة ولـيس بهـدف الـنوافل والعطايا ، ولو كان هذا هدفه لاكتفى بصـداقة الـنعمان بـن المـنذر ، وإنمـا أراد أن يـبقى من القوتين المتناحرتين دون أن يهدر كرامـته ، أو يفقـد مكانته ، ودون أن يغفل قومه وبني عشيرته طوال حياته ، وذلك كما جاء في قوله : (٢٠)

ولكـــنني كنـــت امـــرءاً لـــي جانـــب مـــن الأرض فـــيه مســـتراد ومذهـــب
ملـــوك وأخـــوان إذا مـــا أتيـــتهم أحكـــم في أموالهـــم وأقـــرب
كفعلـــك في قـــوم أراك اصـــطنعتهم فـــلم تـــرهم في شـــكر ذلـــك أذنـــبوا

وفي هـذه القصـيدة معـانٍ نسـتدل بهـا عـلى عمـق العلاقـة الـتي توطدت بينه وبين الـنعمان ، وهـي أقـرب في بعضـها إلى العتاب منها إلى الاعتذار ، وفيها الحكم في جانب الصداقة وهي في قوله :

ولســـت بمســـتبق أخـــاً لا تـــلمه عـــلى شـــعث أي الـــرجال المهـــذب

وهـو من الأبيات الأمثال التي تدور في معاني الصداقة ، والنابغة سبق بشاراً في هذا المعنى الذي أشاد النقاد به كثيراً وهو قوله :

فـــإن كنـــت في كـــل الأمـــور معاتـــباً صـــديقك لـــن تلقـــى الـــذي لا تعاتـــبه

والـنابغة لا تنسـيه الصـداقة مكانـة الـنعمان فـيعود إليه مخاطباً له كملك يضعه في المكانة المناسبة له وهي قوله : (٢١)

فـــإنك شمـــس والملـــوك كواكـــبٌ إذا طلعـــت لم يـــبد مـــنهن كوكـــبُ

فهـذا المعـنى وغيره من إبداعات النابغة لابد وأن تثير حسد الشعراء من حوله ، لما فيها من قوة السبك ، وعمق المعنى وجمال الوقع .

النابغة ووصف الطبيعة :

قـد يـتفوق الشـاعر في فن ، ويخفق أو يقل في فنٍ آخر ، وألا يكون هذا الإخفاق ، وهـذه القلـة في شـعره سبباً لبناء حكمٍ نقديٍ على عدم إجادته في نظم الشعر فلا نسـتطيع أن نلـزم المـبدع أن يـتفوق في كل الفنون الشعرية لنطلق أحكامنا النقدية على درجة تفوقه وإجادتـه الفنـية في الشـعر ، فالشـاعر هـو الأكثر تأثراً وإحسـاساً بما حوله في الحيـاة من أحـداث ومظاهـر وظواهـر ثابـتة ومـتحركة ، قـد يكـون لبعضـها تـأثيره البالغ عليه دون غـيره، وقـد يخـتلف الشـعراء في نـزعاتهم وأمزجتهم النفسـية والفنية ، فيتفاوت تأثرهم

بكل ما حولهم قوة وضعفاً ، ولا يمكن الحكم على شاعر كالنابغة الذي كان في الطبقة الأولى بين الشعراء الجاهليين (يأتي الوصف في شعر الطبيعة حائلاً ممسوخاً .. وسخر شعره للمدح وما يتصل به ، فلم يظفر بحظ موفور من شعر الطبيعة) [٢٢] . فعناية الشاعر بالمدح لا تقلل من شأنه الفني ، فكثير من الشعراء ظلت أسماؤهم لامعة خالدة في سماء الشعر حتى يومنا هذا ، وكان جلّ شعرهم وقمة تميزهم جاء في شعر المدح كبشار وأبي تمام والمتنبي ، وكانوا خلال هذا الفن تبرز لديهم فنون أخرى بصورها وأخيلتها الجميلة ، وشاعر آخر كأبي نواس نجد جمال الصورة وقمة الإبداع في المعاني كان عنده في شعر الخمرة ، وابن الرومي أجاد في فن الوصف ، ووصف الطبيعة بالذات حتى قيل أنه فتح باب الروضيات لشعراء الأندلس .

وإن كان النابغة مكثراً في المدح متميزاً به ، فهو الفن الذي يعده النقاد — في عصور الشعر الزاهرة — المحك الحقيقي لقياس إجادة الشاعر وتمكنه في هذا الفن ، وحتى الوصف لم يهمله الشاعر فقد وصف الطبيعة وألوانها وأشكالها الثابت منها والمتحرك فذكر الغيث والمطر والسحاب والرعد والبرق والبرد حتى جاءت هذه الألفاظ في (٥٦) كلمة وردت في ديوانه ، وقد يذكر هذه الظواهر لذاتها ، وقد ترد عنده للتشبيه بها واستعارة مدلولاتها لمعان أخرى ، ومن مظاهر وصف الطبيعة في شعره أنها تأتي مقترنة بذكر الحيوان كالثور والبقر الوحشي والخيل ، كغيره من شعراء الوصف في الجاهلية ، ومن أبرز أشعاره في هذا الجانب قصيدته التي نظمها مدحاً واعتذاراً للنعمان ، بعد أن وشى به بنو قريع : [٢٣]

أسرتْ عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

فقد استغرق وصفه للطبيعة مرتبطاً بوصف الثور جزءاً كبيراً من قصيدته فهو في هذا البيت ينقل حالة الثور في تلك الليلة الشديدة البَرَد زاد من بردها وقسوتها على هذا الحيوان أن الجوزاء يصاحبها دائماً برد شديد وفي البيت رقم (٣١) من نفس القصيدة : [٢٤]

والخـــيل تمـــزع غـــرباً مـــن أعنـــتها كـالطير تـنجو مـن الشـؤبوب ذي الـبرد

فـلا يرد ذكر المطر في البيت لذاته ، وإنما أورده ليشبه به سرعة الخيل التي يهبها الـنعمان بأنهـا كـالطير عـندما يصـيبها المطـر الشديد ذو البرد فتزيد من سرعتها اتقاءه ، فهي صورة مركبة .

وفي قوله : [٢٥]

وهبـــت الـــريحُ مـــن تلقـــاء ذي أول تـزجي مـع اللـيل مـن صـرادها صـرما

صـهب الظـلال اتـين الـتين عـن عـرض يُـــزجين غـــيماً قلـــيلاً مـــاؤه شـــبما

يصـــف رحلـته في لـيلة شـــديدة الـبرودة زادت من برودتها ريح شديدة تدفع بتلك الســحب الـباردة على تلك المواقع التي وصفها الشاعر وفي رثائه للنعمان بن الحارث تلح عـليه ألفـاظ المطـر والغيـث والوابـل والوسمي بمدلولاتها المباشرة إذْ جعلها العوامل المؤثرة على تلك الديار في تغير رسومها مع طول الزمن . [٢٦]

وقفـتُ بـربع الـدار قـد غـير البـلى معارفهـــا والســـاريات الهواطـــل

سـقى الغيـث قـبراً بـين بصـرى وجاسـم بغيـــث مـــن الوسمـــي قطـــر ووابـــل

ولا زال ريحـــان ومســـك وعنـــبر عـــلى منـــتهاه ديمـــة ثـــم هـــاطل

وينبـــت حُواذنـــاً وعوفـــاً مـــنوِّراً ســأتبعه مـــن خـــير مـــا قـــال قـــائل

وتـتكرر هـذه الألفـاظ في شـعره ، تعـبر عن معانٍ وصور مختلفة وجمع الريح بكلمة (الأرواح) في قوله : [٢٧]

أربـــتْ بهـــا الأرواح ينســـفن تـــربها وكـــل ملـــث ذي أهاضـــيب راعـــد

ويـأتي جمـع الريح عنده (بالرامسات) وقد جاءت هذه الكلمة ضمن تشبيه جميل مبـتكر ، فقـد شبه الرسوم التي غيرتها الرامسات ، وجعل لها ذيولاً تركت أثارها نقوشاً جميلة معبرة كأنها نقش على حصير أتقن الصناع نقشه : [٢٨]

كـــأن مجـــرّ الرامســـات ذيـــولاً علـيه حصـير نمّقـته الصَّـوانع

ذكر الحيوان في شعر النابغة :

وقـد لاحظـنا خـلال استعراضـنا للشعر النابغة ، ووقوفه عند الطبيعة ، كان مقترناً في كـثير مـن شـعره بوصـف الحـيوان — كمـا أشـرنا سـابقاً — وكـان في المقدمة ذكر الثور والخـيل ، وفي ديوانه بذكر الحيوان وما اتصل به فقد كانت هذه الألفاظ تصل إلى (٢٢٩) لفظـة (٧٠) كانـت في الـناقة والإبـل . ونجـد أن ذكـر الـثور والخيل يتساويان في معجمه اللغـوي ، فقد وصل كل منهما إلى (٢٥) لفظة أما الحمر الوحشية والأتان فكانت في (١٠) ألفـاظ ، ومـا تـبقى جـاءت في ذكـر حيوانات أخرى مختلفة ، وكذلك الطيور والحشرات والدواب أيضاً .

وقـد ألح علـيه ذكـر الثور والبقر الوحشي ، ووصفه كثيراً ، ووصف في بعض شعره صـراعه مـع الكـلاب المفترسـة وفي مواقـف عديـدة مـن هـذا الوصـف ينقل لنا معاناة هذه الحـيوان ، متخـيلاً الجانـب النفسـي لديـه معـبراً عـنه بصـورة أدق من عنايته بالجانب الحسي وذلك في مثل قوله : [٢٩]

يسـعى بغضـفٍ بـراها ، فهـي طاويـة طـول ارتحـال بهـا مـنه وتسـيار

حـتى إذا الـثور بعـد الـنفر أمكـنه أشـلى وأرسـل عشـراً كـلها ضـاري

فهـو يصور تلك المعركة الدائرة بين الثور وكلاب الصياد التي استعداها بكل شراسة للنـيل مـنه ، وينقل خلال تصويره هذا ترقب الثور وتهيأه ، وكان يرصد كل حركة لهذا الحيوان إضافة إلى الجانب النفسي الذي ظهر في هذا الوصف كمثل قوله :

فكـر .. محمـية مـن أن يفـر .. كمـا كـر المحـامي حفاظـاً خشـية العـار

انقضـى كالكوكـب الـدري منصـلتاً يهـوى .. ويخلـط تقريـباً باخطـار

وقد عرض هذا المعركة بأسلوب قصصي بديع . ويستطرد الشاعر في قصائد أخرى الحديث عن الناقة والثور الوحشي والصائد ، على النحو الذي مر في القصيدة السابقة كقصيدته التي مطلعها : (٣٠)

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت ، وطال عليها سالف الأبد

ابتداءً من قوله : (٣١)

أسرت عليه من الجوزاء سارية تُزجي الشمال عليه حامد البرد
فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن صرد
فبثهن عليه واستمر به صُمْعَ الكعوب بريئات من الحرد
وكان ضمران منه حيث يوزعه طعن الملوك عند المحجر النجد
شكل الفريصة بالمدري فأنفذها طعن المبيطر إذْ يشفى من العضدِ
كان خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد
فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً في حالك اللون صدق غير ذي أودِ
لما رأى واشق إقعاص صاحبه ولا سبيل إلى عقل ولا قود
قالت له النفس : أني لا أرى طمعاً وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

وكذلك يمكن الرجوع إلى مقطوعته التي مطلعها : (٣٢)

ودع إمامة فالتوديع تعذير وما وداعك من وقفت به العبر

وكذلك ما جاء في قصيدته الغزلية : (٣٣)

بانت سعاد وأمسى حَبْلُها انجذما واحتلت الشرع فالاجزاع من اضما

وعن طول الليل ورد عنده ليل التمام وهو أطول ليالي الشتاء في قوله : (٣٤)

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السُمُّ ناقعُ

يُسَـهَّدُ مـن لـيل الـتمام سـليمها لحلـي النسـاء في يديـه قعـاقعُ

فهـو يصور معاناته عندما علم بغضب النعمان منه ، وكيف أمسى ليله كالذي لدغه مـرقش سمـه نـاقع ، وفي البيـت الـثاني إشارة إلى ما يقوم به القدماء في علاج من لدغ من مـرقش فقـد تعلـق علـيه الحلي ذات الخلاخل لكي تجعله متيقظاً طوال وقته ، لأن السم يدب في جسد الملدوغ عند نومه ، وترد (ليل التمام) ثانية في قوله : [٣٥]

فـباتوا سـاكنين وبـات يسـري يُقـرِّبهم له لـيل الـتمام

فهو يصور طول الليل وشدته على أعداء عمرو بن هند عندما غزا الشام .

ومـن الصـور المبتكرة في وصف الحيوان هو وصفه للثور الوحشي ذو القوائم السود ، وكـيف بـات في بقعة كثيفة الرمال ، ويصور محاولته في نفض الرمال عنه لئلا تنهار عليه فـتغمره ، وقـد شـبه محاولـته هـذه وهـو يـنفخ بقـية الـرمال كـالحداد الـذي ينفخ بالنار الفحم :[٣٦]

حـتى غـدا الـريح روقـيه وجبهـته كالهـبر في تـنحي يـنفخ الفحمـا

حـتى غـدا مـثل نصـل السيف منصلتا يقـرو الاماغـر مـن يـنان والأكمـا

ففـي كـل مثال مما مر من شعره صورة حية تنقل لوناً من ألوان الطبيعة ، التي قـد يـأتي بهـا لـذات هـذا اللـون أو غيره ، أو أن يأتي بها ليقرب بها شيئاً آخر أراد وصفه وإيضاح صورته بأسلوب جزيل متين ، بعيداً عن الأغراب والغموض .

والـنابغة كمـا قال الدكتور العشماوي (قد اعتمد على إيحاء الألفاظ فالأداء بسيط لا يـلجأ إلى الصـنعة ، ويعـتمد أكـثر مـا يعـتمد على مكنونات الألفاظ ، وما يمكن أن تؤديه هذه المكنونات من تعبير) . [٣٧]

ونستدل على ما أشار إليه الدكتور العشماوي قوله : [٣٨]

أتـاني – أبيـت اللعـن – أنـك لـتني وتلـك الـتي تسـتك مـنها المسـامع

فقدرتـه الفنـية وحسـن اختيار اللفظة التي تؤدي مكنوناتها من تعبير جعلته يتمكن مـن وصـف حالـة الصمخ التي قد تعرض للإنسان بلفظة (تستك) التي أراد بها أن يعبر عمـا تعـرض له الـنابغة حتى أصبح لا يسمع مما حوله إلا ما يأتيه من لوم النعمان وعتبه علـيه . فهـذه القدرة لم تثر انتباه النقاد والأدباء فحسب ، وإنما اهتم بشعره أهل اللغة ، وكـان شـعره وشـعر الـبارزين مـن شعراء الجاهلية مصدراً أساسياً في دراسة اللغة ، فنجد مـثلاً أن ابـن الشـجري في آمالـيه استشـهد بشعره في أكثر من ثلاثين موضعاً (آمالي ابن الشجري تحقيق محمود الطناحي) .

عقيدة النابغة :

والـنابغة مـن الشعراء الذين ورد في أشعارهم حقيقة التوحيد، والإيمان بأن الله عز وجـل خـالق كـل شـيء في هـذه الدنـيا، وقد اعتبر مرجليوث أن النابغة وغيره من شعراء الجاهلية في هذا الشأن (موحدون بصرامة، لأنهم نادراً ما يذكرون إله آخر غير الله)[٣٩] .

وكذلـك حول خلق وفناء الإنسان (فالنابغة يسجل هذه الحقيقة تسجيلاً تقريرياً ، وعـنده أن المنية موعد مضروب بين الإنسان ومصيره المحتوم في هذه الدنيا) (الحكمة في الشعر العربي ، ص ٥٢) ، وذلك في مثل قوله : [٤٠]

فـــلا تـــبعدن أن المنـــية موعـــد وكـــل امـرئ يومـاً بـه الحـال زائـل

وعنده الدهـر لا يقـدر على ريبة إنسـان في هذه الحياة وذلك في مثل قوله : [٤١]

تكلفـــني أن يغفـــل الدهـــر هَمَّهـــا وهـل وجـدتْ قـبلي عـلى الدهـر قـادراً

ألم تـــر خـــير الـــناس أصـــبح نعشـــه عـــلى فتـية قـد جـاوز الحـي سـائراً

وقـد وردت لفظـتا (الإلـه ، والله) كـثيراً في شـعره بشـكل فـاق غيره من الشعراء الجاهلـيين الذيـن لم يدينوا بالمسيحية أو اليهودية ، وإنما جاء إيمانهم نتيجة احتكاكهم بأصحاب هذه الديانات .

فالنابغة مثلاً كان أحد هؤلاء نتيجة اتصاله بأصحاب هذه الديانات فقد اتصل بالنعمان بن الحارث ومدحه ببعض القصائد من ديوانه ، وكان الحارث يدين بالنصرانية وقد أشار إلى ذلك بقوله : (٤٢)

ظلت أقاطيع أنعام مؤبلة لدى صليب على الزوراء منصرب

فإذْ وقيت بحمد الله شرتها فانجي فزار إلى الأطواد فاللّوب

أما المواقف التي وردت فيها لفظتي (الإله ، والله) فهي كثيرة في شعره وقد وردتا في ستة أبيات من هذه القصيدة هي في قوله : (٤٣)

فواثقها بالله حين تراضيا فكانت تدين المال غِبًّا فظاهره

تذكّر أني يجعل الله جنة فيصبح ذا مالٍ ويقتل واتره

فلما رأى أن ثُمّر الله ماله وأثّل موجوداً وسَدّ مغامره

فلما وقاها الله ضَربة فأسه وللبر عَيْنٌ لا تغمِّضُ ناظره

فقال : تعالى نجعل الله بيننا على مالنا أو يَنجزي لي آخره

فقالت : يمين الله أفعلُ إنني رأيتك مسحوراً يمينك فاجره

ففي هذه الأبيات التي يعاتب فيها بني مرة على تحالفهم عليه وعلى قومه ترد لفظة (الله) بعفوية واضحة تدلل على رسوخ هذه اللفظة في وجدانه لإيمانه العميق بوجود إله واحد خالق هذا الكون ومسيّره .

وقد تأتي أيضاً بقوله : (٤٤)

لهم شيمةٌ لم يعطها الله غيرهم من الجود الأحلام غير عوازب

فهو يقول بأن الله منَّ على هذه الأقوام بأخلاق وسير تميزوا بها عن غيرهم ، وأردف قائلاً أيضاً : (٤٥)

محلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

يقصد بمحلتهم ديارهم، وهي ديار مقدسة لأن فيها منازل الأنبياء (عليهم السلام)، وهي الأقوام التي عناها الشاعر تسكن ناحية الشام، يدينون بالنصرانية وكتابهم الإنجيل.
وقد جاءت لفظة (الإله) و(ربي) في المقطع الغزلي في قوله : (٤٦)

حـــياكِ ربـــي فإنـــا لا يحـــل لـــنا لهـــو النســـاءِ ، وإن الديـــن قـــد عـــزما

مشـــمرين عـــلى خـــوض مـــزممةٍ نـــرجو الإلـــه ونـــرجو الـــبر والطمعـــا

فقد مرت به هذه المرأة التي عناها في قوله السابق وهو يحج بالكعبة فحياها ، ويرجو أن لا تعترضه حيث لا يحل له الصبا والهوى ، وهو يقوم بتأدية هذه الشعائر المقدسة .

وقد تكون غايته — وهو يخاطب ذاته — أن ينهي نفسه عن الهوى ، وينصرف بكل مشاعره نحو الكعبة ، ويرجو الله البر والرزق .

وقال وهو يمدح الحارث الأصغر ، ويصفه بأنه بعيد عن الضعف والانكسار ، مؤكداً هذه الصفة بتكرار لفظة (الله) وذلك في قوله : (٤٧)

والله والله لـــنعم الفـــتى الـــ أعـــرج لا الـــنكسُ ولا الخـــاملُ

وكذلك ترد هذه اللفظة في قوله وهو يهجو النعمان بن المنذر . (٤٨)

لعـــن الله ثـــم ثـــنّى بلعـــن ربـــذة الصـــائع الجـــبان الجهـــولا

ووردت هذه اللفظة أيضاً وهو يهجو بني عبس ، ويعيرهم اغترابهم في بني عامر : (٤٩)

جـــزى الله عبســـاً في المواطـــن كـــلها جـــزاء الكـــلاب العاويـــات وقـــد فعـــل

فأصـــبحتم ، والله يفعـــل ذلكـــم يُعُـــزُّكم مـــولى موالـــيكم حجـــل

وأصـــبحتم والله يفعـــل ذلكـــم ... النســـاء المرضـــعات بـــنو شـــكل

يطلب من الله أن يجزيهم على هجومهم على بني عامر جزاء الكلاب ولقد تحققت دعوته فأنزل الله عليهم عقابه ، وأذلهم ، وجعلهم كالموالي بعد أن كانوا سادة .

والـنابغة خلال هذه الوقفات يضمّن شعره جوانب من الموروث الديني القديم بهدف إيضـاح فكـرته، الـتي يسوقها – في بعض الأحيان– بأسلوب قصصي بديع يخرج به عن المباشرة في عرض الفكرة التي عناها في هذا الجانب أو في غيره، وذلك في مثل قوله:[٥٠]

إلا سـليمان إذْ قـال الإلـه له قـم في الـبرية واحـد دهـا عـن الفـند

وخـيس الجـن إنـي قـد أذنـت لهـم يبـنون تدمـر بالصُّـفاح والعمـد

ففـي هـذين البيتين إشـارة إلى قصة سـليمان وبنائه تدمر ، كما جاءت في الموروث الديـني القـديم الذي احتضنته الجزيـرة العربية قبل الإسلام . والنابغة واحد من الشـعراء الذيـن نهلـوا من هذا الموروث وتأثروا به ، ونجده أيضاً يشير إلى قصة نوح وخيانة زوجه له التي وصفها – بعد ذلك – القرآن الكريم في قوله : [٥١]

فألقيـتُ الأمانـة لم تخـنها كذلـك كـان نـوح لا يخـون

فوضـوح الوحدانية في شعره معبراً عنه في مواقف عديدة من شعره تمر بالشاعر فتلح علـيه ألفاظهـا ومعانـيها ، وهـو واحـد من هؤلاء الشعراء الذين تجمعهم الوحدانية (وهم يظهـرون أنفسـهم عـلى أنهـم مـلمون بالقضـايا الـتي أكدهـا القرآن ، وكانت غير معروفة للعرب قبل الوحي) . [٥٢]

استخدامات النابغة اللغوية
في معجمه الشعري

وطبيعي أن يكون للنابغة الذبياني استخداماته اللغوية في معجمه الشعري التي تستقل بمعانيها عن المعنى المعجمي للمفردات والتراكيب ، التي تؤدي إلى دلالات قد تكن خاصة بلغة الشاعر ، أو بلغة عصره ، ومن هذه الاستخدامات :

أولاً :

قوله في ق١ بيت٢ ص٤

وقفتُ فيها أصيلان أسائلُها عَيْتَ جواباً وما الربع من أحد

استخدم اللفظة (أصيلان) وهي تصغير لكلمة (أصيل) ليدلل على قصر تلك اللحظات التي وقف بها ليسلم على أهل الديار .

ثانياً :

قوله في ق٢ البيت٢٨ ص٣٨

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ

جاء استخدام النابغة للفظة (الليل) مختلفاً عن استخدام الشعراء الذين أتوا بالعديد من الصور والتشبيهات التي تصور طول الليل على العاشق أو المتألم . فالنابغة شبه الممدوح (النعمان) في غضبه عليه بالليل ، فهو يدركه ويشمله بظلامه أينما حل . لأن الليل يخيم على كل شيء ، وهو قد يختلف عن النهار حيث الناس ينتشرون ولا يسكنون كسكونهم في الليل .

ثالثاً :

والنابغة كغيره من الشعراء يكون مخزونه اللغوي من لغة عصره ، وقد تقترب هذه الاستخدامات من المتداول المألوف ، وقد تبتعد قليلاً أو كثيراً حتى تحتاج إلى شرح

وتوضيح . لتقترب من ذهن المتأخر على عصر الشاعر ، وذلك كمثل قوله في ق٣ بيت٢٣ ص٤٦ :

لهم شيمةٌ لم يعطها الله غيرهم من الجود والأحلام غير عوازب

استخدم النابغة لفظة (عوازب) من مخزون عصره اللغوي ، والعازب معناها : هو الذي لا يريح ماشيته ، وإنما يجعلها تواصل السير والرعي ، فجعل النابغة الحلم والجود كطبيعة ملازمة للقوم الذين امتدحهم كهذه الماشية التي لا تفارق السير وتستريح فهي دلالة غير مباشرة على معنى الملازمة .

رابعاً :

وقد يستخدم النابغة ألفاظاً ذات دلالات مباشرة لا يحجبها الحاجز الثقافي الذي يحدثه التباعد الزمني بين عصر الشاعر وعصر المتلقي كقوله في ق٣ البيت٢٧ ص٤٧ :

رقاق النعال طيبِ حجزاتهم يُحَيُّون بالريحان يوم السَّباسبِ

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكبِ

فلفظة (رقاق) صفة لنعالهم ودلالاتها واضحة ، وهي أن الممدوحين ملوك حياتهم مترفة ليسوا من الناس التي تقضي حوائجها سيراً على الأقدام ، ولفظة (طيب) صفة لحجزاتهم ولها دلالتها على عفتهم ونقائهم من الدنس (وخضر) المناكب دلالة على ملازمتهم حمل السلاح فأثرت في ملابسهم حتى مالت إلى السواد .

وأورد النابغة اللفظة ذاتها في قوله ق٤ بيت٣ ص٤٩ .

ظَلَّتْ حلومهم عنهم وغرّهم سَن المعيدي في رعي وتعزيب

فهي تحمل نفس الدلالة واستخدمها في الهجاء حيث نفى الحلم عن من هجاهم في هذا القول .

خامساً :

في قوله في ق٣ بيت٢٨ ص٩٦

بتكـــلمٍ لـــو تســـتطيع كلامـــه　　لدنـــتْ　له أروى الهضـــابِ الصُـــخُّدِ

أراد النابغة بقوله هذا أن يعبر عن رقة وحسن حديث المتجردة الذي يأخذ القلوب، وبأن له تأثير بالغ حتى على إناث الوعول المتميزة بنفورها الشديد من الأنس ، بأنها لو سمعتها وهي تتحدث لنزلت من أعالي الجبال الوعرة مأخوذة متأنسة بهذا الكلام .

سادساً :

والنابغة الذبياني كغيره من الشعراء استفاد من الرموز القديمة للتعبير عن معان عديدة يرغب في إبرازها من خلال هذ الرموز من أمثال وأساطير وحكايات كانت منهلاً غنياً للشعر الجاهلي عامة ، وطبيعي أن الشاعر في اقتباسه للمثل لا يلتزم اللصيغة المأثورة التي روي بها ، وخاصة أن هذا الشعر وهذه المأثورات جاءت قبل عصر التدوين فلابد أن يصاحبها التغير في لغتها دون معانيها ، ومما لدى النابغة من اقتباس قوله في ق٣٦ بيت ص٧٠ .

حَدِثوني بني الشقيقة ما يمنع　　فقعـــــاً بقرقـــــر أن يـــــزولا

(فقعاً بقرقر) وهو الفقع في المستوى القريب من سطح الأرض تدوسه الأغنام والماشية بأظلافها ، فهي مثل يضرب للذلة .

وفي قوله في ق١١ بيت٥ ص٨٥

تـــبدو كواكـــبه والشـــمس طالعـــةٌ　　لا الـــنور نـــور ولا الإظـــلام إظـــلام

أراد أن يبرز شدة ذلك اليوم وأهواله فكأنه اقتبس مما يقال : بأنه آراه النجوم نهاراً . أما الرموز القديمة فقد اقتبس النابغة منها ما يحكى عن زرقاء اليمامة ، وذلك في قوله في ق١ بيت٣٢ ص٢٣ .

أحكم كحكم فتاة الحي إذْ نظرت　　إلى حَمـــام شـــراع وارد الـــثمد

فقد اقتبس المغزى بأن زرقاء اليمامة كانت مصيبة وقد وضعت الأمر في موضعه ، واكتفى من هذه الحكاية في إشارته (فتاة الحي) بأنه أراد الممدوح (النعمان) أن يكون مصيباً كإصابة هذه الفتاة ومنها قوله في ق١٥ بيت٤ ص١٠١ .

أحلام عادٍ وأجسادٌ مُطهرةٌ من العَقَّةَ والآفاتِ والأثمِ

كان العرب في الماضي يرون الحلم في الأمم الماضية قبلهم فيضربون بهم المثل ، وكان الحلم في عاد متعارفاً ، فقال (أحلام عاد) للتدليل على أن صفة الحلم التي أرادها في ممدوحيه من غسان .

سابعاً :

وقد اشتق النابغة لفظة (شريس) من (الشراسة) وهي صفة للرجل الصعب المراس . في قوله في ق٢٤ بيت٣٣ ص٣٦ :

إلى صعب القادة ذي شريس نماه في فروع المجد نام

ومن استخداماته اللغوية لفظة (القمحان) في قوله في ق٢٤ بيت١١ ص١٣٢ .

إذا فضتْ خواتمه علاه يبيس القمحان من المدام

جاءت في لسان العرب على لسان أبي حنيفة : لم ترد هذه اللفظة (القمحان) إلا عند النابغة . وقيل عنها الذريرة التي تعلو الخمرة عند فتحها بعد طول أمدها ، وقيل هي الزّبد الذي يعلو الخمرة عند فتحها بعد طول أمد .

ثامناً :

أراد النابغة أن يعبر عن اشتداد الحر وقت الهاجرة في الصيف ، فشخص الشمس وجعل لها ريق يسيل في وقت الهاجرة وقال الأصمعي : (ريق الشمس تراه بالهاجرة إذا اشتد الحر) وهو في قول النابغة في ق٢٦ بيت٧ ص١٤٢ .

يثرن الحصى حتى يباشرن برده إذا الشمس مَجَّتْ ريقها بالكلاكل

الهوامش

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ١ : ٥١، خزانة الأدب ٣ : ١٣٥ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٢٢٢ .

(٢) خزانة الأدب ٣٣ : ١٣٧ ، الأغاني ١١ : ٣٧ .

(٣) الأغاني ١٥ : ٩٣ .

(٤) المصدر نفسه ١١ : ٢٢ — ٢٣ ، طبعة دار الكتب .

(٥) العصر الجاهلي ٢٨٦ .

(٦) النابغة الذبياني د . العشماوي ١٠١ .

(٧) المدح حتى نهاية العصر الأموي ٤٤ : ١٨٠ .

(٨) ديوان النابغة ٧ — ٨ .

(٩) العمدة لابن رشيق ٦٤ .

(١٠) شعر الطبيعة : ٩٨ .

(١١) الصورة الفنية ٢٦١ .

(١٢) النابغة الذبياني د . العشماوي — مصدر سابق : ٣٧ — ٣٩ .

(١٣) قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي — مصدر سابق ٧٨ — ١٨٠ .

(١٤) ديوان النابغة — مصدر سابق : ٤٩ .

(١٥) المصدر نفسه : ٧٥ .

(١٦) الديوان — مصدر سابق : ١٤٠ ، النابغة — العشماوي — مصدر سابق ٤٣ .

(١٧) الشعر والشعراء — مصدر سابق ١ : ٢٢٢ ، شعر السلم : ٨٤ — ٨٦ .

(١٨) الديوان — مصدر سابق : ١١٥ — ١١٨ .

(١٩) الديوان — المصدر نفسه : ٧٢ .

(٢٠) الديوان — المصدر نفسه : ٧٣ .

(٢١) الديوان — المصدر نفسه : ٧٤ .

(٢٢) الصورة الفنية — مصدر سابق : ٢٦١ .

(٢٣) الديوان — المصدر نفسه : ١٨ .

(٢٤) الديوان — المصدر نفسه : ٢٣ .

(٢٥) الديوان — المصدر نفسه : ٦٣ .

(٢٦) الديوان — المصدر نفسه : ١١٥ .

(٢٧) الديوان — المصدر نفسه : ١٤١ .

(٢٨) الديوان — المصدر نفسه : ٣١ .

(٢٩) الديوان — المصدر نفسه : ٢٠٣ .

(٣٠) الديوان — المصدر نفسه : ١٤ .

(٣١) الديوان — المصدر نفسه : ١٨ — ٢٠ .

(٣٢) الديوان — المصدر نفسه : ١٥٧ .

(٣٣) الديوان — المصدر نفسه : ٦١ .

(٣٤) الديوان — المصدر نفسه : ٣٣ .

(٣٥) الديوان — المصدر نفسه : ١٣٥ .

(٣٦) الديوان — المصدر نفسه : ٦٦ .

(٣٧) الديوان — المصدر نفسه : ١٩٩ .

(٣٨) الديوان — المصدر نفسه : ٣٤ .

(٣٩) أصول الشعر العربي : ٧٣ .

(٤٠) الديوان — مصدر سابق : ١٢٠ .

(٤١) الديوان — المصدر نفسه : ٦٧ — ٦٨ .

(٤٢) الديوان — المصدر نفسه : ٥٢ .

(٤٣) الديوان — المصدر نفسه : ١٥٥ — ١٥٦ .

(٤٤) الديوان — المصدر نفسه : ٤٦ .

(٤٥) الديوان — المصدر نفسه : ٤٧ .

(٤٦) الديوان — المصدر نفسه : ٦٢ .

(٤٧) الديوان — المصدر نفسه : ١٦٧ .

(٤٨) الديوان — المصدر نفسه : ١٧٠ .

(٤٩) الديوان — المصدر نفسه : ١٩١ .

(٥٠) الديوان — المصدر نفسه : ٢٠ — ٢١ .

(٥١) الديوان — المصدر نفسه : ٢٢٢ .

(٥٢) شعراء النصرانية : ٧٣٠ ، أصول الشعر العربي : ٧٣ .

المصادر والمراجع

(١) أبو علي بن رشيق القيراوني

العمدة — مطبعة السعادة — مصر — ١٩٦٤ .

(٢) ابن سلام — محمد الجمحي

طبقات فحول الشعراء — تحقيق محمود شاكر — دار المدني — القاهرة .

(٣) ابن الشجري

الآمالي — تحقيق محمود محمد الطناحي — مكتبة الخانكي — القاهرة — بدون تاريخ .

(٤) ابن قتيبة — أبو محمد عبد الله بن سلام

الشعر والشعراء — تحقيق أحمد محمد شاكر — دار المصارف — مصر .

(٥) البغدادي — عبد القادر بن عمر

خزانة الأدب — تحقيق عبد السلام هارون — الخانكي — مصر — بدون تاريخ .

(٦) البهبيتي — محمد نجيب

تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث — دار الكتب المصرية — ١٩٥٠ .

(٧) الذبياني — النابغة الذبياني

ديوان النابغة الذبياني — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ذخائر العرب — دار المعارف — مصر — الطبعة (٣) .

(٨) الزواوي — خالد محمد

الصورة الفنية عند النابغة الذبياني — الشركة المصرية العالمية للنشر — لونجان.

(٩) الأصفهاني — أبو الفرج

الأغاني — دار الثقافة — بيروت — الطبعة الثالثة — ١٩٦٢ .

الأغاني — دار الكتب .

(١٠) البطل — علي البطل

الصورة في الشعر العربي — دار الأندلس — الطبعة الأولى — ١٩٨٠ .

(١١) الجاحظ — عمر بن بحر الجاحظ

البيان والتبيين — مكتبة الخانكي — مصر — ١٩٦٠ .

(١٢) الفريح — سهام الفريح النابغة الذبياني ومعجمه اللغوي — مقبول للنشر في المجلة المعجمية بتونس .

(١٣) شيخو — لويس شيخو

شعراء النصرانية — مكتبة الأداب — المطبعة النموذجية — القاهرة — ١٩٨٢ .

(١٤) العتيبي — عبد الله محمد

شعراء السلم في العصر الجاهلي — الطبعة الأولى — ١٩٧٧ .

(١٥) العسكري — أو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل

كتاب الصناعتين — دار إحياء الكتب المصرية — الطبعة الأولى — ١٩٥٢ .

(١٦) العشماوي — محمد زكي

النابغة الذبياني — مع دراسة للقصيدة الجاهلية — دار المعرفة الجامعية — الإسكندرية — الطبعة الثانية — بدون تاريخ .

(١٧) القالي — أبو علي إسماعيل بن القاسم بن غيدون

ذيل الآمالي — دار الكتب المصرية — ١٩٢٦ .

(١٨) مرجليوت

أصول الشعر العربي – ترجمة يحيى الجبوري – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – بيروت – ١٩٨١ .

(١٩) المرزباني – أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى

الموشح – تحقيق على محمد الألبجاوي – دار نهضة مصر – ١٩٦٥ .

(٢٠) نوفل – سيد نوفل

شعر الطبيعة في الأدب العربي – دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية .